مجلة الرائد

العدد : ١٩٣ الموافق في جمادى الأولى ١٤١٨ هجري ١٩٩٧/١٠ ميلادي

عنوان المقال : وخيبت أمريكا الآمال	بقلم : عبد الله هارون

أظهرت نتائج زيارة وزيرة خارجية أمريكا مفارقات عجيبة ، وهي في حقيقتها حصاد المقدمات التي تراكمت من عشرات السنين ، وسأكتفي بذكر بعض النتائج التي يمكن من خلالها استشفاف مقدماتها :

١- افتقار الساسة العرب إلى الثوابت :

أول خطيئة مارسها النظام العربي هي "الاعتراف بوجود الكيان الصهيوني" مدعياً أنه يفعل ذلك لتحجيم الصهاينة في ظروف دولية لا تسمح بتحرير فلسطين ، فلما دخلوا في النفق المظلم للاستسلام ظانين أن في أيديهم أسلحة ملزمة تتمثل في (الشرعية الدولية) و (مرجعية مدريد) وجدوا أنفسهم فجأة يسبحون في فراغ !

إن اعتراف الأنظمة العربية بدولة الاغتصاب أفقدها أهم ثابت من ثوابت الصراع مع الاستعمار الاستيطاني ، وها هي الأحداث تثبت أن الأنظمة العربية مفتقرة إلى رؤية صحيحة ومرجعية ملزمة ، وأن الشيء الذي يميز المفاوضين العرب هو استعدادهم للحوار في جميع الأمور والوصول إلى اتفاق بشأنها

وفي الطرف المقابل نجد الصهاينة واضحين ومصممين ومطمئنين إلى هزال الزعامة العربية ، ومعذرة إذا نقلنا منطلقات وتطبيقات نتنياهو الذي أذل دعاة الاستسلام :

أ- من الثوابت التي أعلنها نتنياهو قبل وصوله إلى رئاسة وزارة الكيان الصهيوني ، وربما كان وصوله إلى هذا المنصب بسببها ، ما جاء في مقدمة الطبعة العربية التي بعث بها للناشر الذي أراد ترجمة كتابه مكان تحت الشمس ، قوله : " وبدلاً من الالتزام بالمناداة حالياً بتحويل الضفة بكاملها إلى دولة فلسطينية متفجرة ، فإن هذا الكتاب يضع أو يقدم نهجاً بديلاً لقيام سلام بين إسرائيل والعرب الفلسطينيين ، يدعو إلى قيام حكم ذاتي فعلي للفلسطينيين مع الاحتفاظ بسلطات مركزية معينة ، معظمها أمني ، في أيدي الإسرائيليين ، وفي اعتقادي فإن تسوية نهائية ستكون ثابتة وراسخة فيما لو أنجز توازن حقيقي بين مطلبين أو حاجتين مختلفتين : تدخل إسرائيلي أدنى في الشؤون الفلسطينية ، وإجراءات أمنية قصوى ضد الإرهاب والتهديدات العسكرية الآتية من الشرق. فنحن بحاجة لبناء واقع جديد على

الأرض ، يربط بين إسرائيل ، والفلسطينيين والأردن ، وذلك لضمان الأمن لجميع الأطراف . فبوجود الأمن يمكن أن يكون هنالك تدفق حر للتفاعل بين جميع الأطراف ، وبدون وجود الأمن ، فسيكون هنالك فقط واقع الإغلاقات والعوائق القديم ، ونقاط التفتيش ، والركود الاقتصادي.

إنني على إدراك تام ، بأن العديدين في الوطن العربي سيطلبون المزيد ، مطالبين بأنه يجب على إسرائيل أن تعيد المزيد من الأراضي العربية المسلوبة ، وبما أن يهودا والسامرة هي أراض عربية مسلوبة ، إذن فإن يافا وعكا والرملة هي بنفس المستوى ، وبالتالي فإن هذا يشمل جميع إسرائيل . فإن لم يكن لليهود حق بالعيش في منطقة يهودا ، التي تشكل مهد الحضارة اليهودية ، فما هو الحق الذي يملكونه للعيش في أجزاء أخرى من الدولة اليهودية ؟ هذه هي المسألة الأساسية الكبرى ، وهي التبرير الأخلاقي لوجود الدولة اليهودية ، الذي يسعى هذا الكتاب لمعالجتها وطرحها [١]

ب- ولقد أكد هذا المعنى في مقدمة الطبعة العبرية لنفس الكتاب فقال : "إذا لم يكن هنالك حق لليهود في الاستيطان في الخليل وفي بيت آيل ، فليس لهم الحق أيضاً في البقاء في حيفا ويافا ، كما تدعي منظمة التحرير الفلسطينية.

عبثاً يحاول دعاة الانسحاب ، التخلص من هذا الاستنتاج ويمنعهم تفاؤلهم الساذج من رؤية هذا المبدأ الأساسي.

إن من شأن التنازل عن الضفة الغربية تعزيز المطالبة العربية بالجليل والنقب ومناطق أخرى في دولة إسرائيل...

وبناء على هذا المفهوم ، سواء بالنسبة للهدف النهائي ، أو بالنسبة لأسلوب تحقيقه ، تشكل منظمة التحرير الفلسطينية مرشداً وفياً لحماس ، ولبقية الحركات الإسلامية المتطرفة.

إن المعنى العملي لتسليم مناطق لمنظمة التحرير الفلسطينية ، هو على أية حال ، تسليم هذه المناطق إلى قوى الإرهاب والإسلام الأصولي

هكذا سيؤدي الاستمرار في تطبيق اتفاق أوسلو إلى تطويق إسرائيل بحزم من قواعد الإرهاب الإسلامي ، هدفها الوحيد القضاء على دولة إسرائيل "[٢]

جـ- وليست هذه الثوابت نظرية فقط وإنما هي المترجمة في واقع الشخصية وواقع السلوك ، فقد خدم نتنياهو في وحدة استطلاع هيئة الأركان العامة التابعة لشعبة الاستخبارات العسكرية ، وقد اشترك كجندي في الهجوم على مطار بيروت سنة ١٩٧٢م ، في أعقاب اختطاف طائرة العال إلى الجزائر ،

حيث تم نسف ١٣ طائرة ركاب تابعة لشركات طيران عربية... وهو الآن يقوم بمصادرة الأراضي وهدم المنازل وتوسيع المستوطنات ، ودعم الإرهاب الأصولي اليهودي ويعتبر ذلك من حقوق اليهود... فضلاً عن قدرته على بلورة الموقف والتمسك به ، حتى لو كان مخالفاً فهو يستمتع بتبني الرأي المختلف والدفاع عنه حتى يقنع الآخر به ، يقول معلم التاريخ الذي درس نتنياهو في وصفه : "كانت له هوية واضحة : كان إسرائيلياً ووطنياً متعصباً " ، وقال آخرون عنه في شبابه : " كان يعرف ما يريد ، وكان واضحاً بالنسبة له ، أنه يسير نحو تحقيق ذلك ".

فما هي ثوابت وقدرات وإمكانات المحاور العربية ؟!!!

٢- استجداء القادة العرب الحلول لمآسي أمتهم من الأخرين :

منذ نشأت قضية فلسطين والعرب ينتظرون الحل من الأمم المتحدة ومجلس الأمن ودول عدم الانحياز والاتحاد السوفييتي أثناء وجوده وأخيراً وجدوا الحل عند أمريكا !!! والأمر الملفت للنظر أن هذا الموقف لم يعد موقف الأنظمة العربية المتصارعة مع بعضها فقط ، وإنما أصبح كذلك موقف الشعوب المغلوبة على أمرها ، تلك الشعوب التي سلبت حريتها وفقدت هويتها ، لقد أصبح الجميع ينتظرون تدخل أمريكا لتحريك ما سمي "مسيرة السلام" بعد أن تجمدت بوصول الليكود إلى الحكم... وكان الحديث في وسائل الإعلام العربية قبل وصول وزيرة الخارجية الأمريكية إلى المنطقة ، عن انتظار حدوث تحول !!! وقال بعضهم ستقوم بعمل مماثل لما قام به وزير الخارجية الشهير كيسنجر الذي بدأ المسيرة في زمن السادات وبيجن...الخ

وحتى بعد فشل الزيارة وعدم قدرة وزيرة الخارجية الأمريكية على صنع شيء سوى مطالبة العرب بالرضوخ للمطالب الصهيونية ، اكتفت التقارير السياسية والتحليلات الإعلامية في وسائل الإعلام العربية - وهذا يتفق مع مواقف القادة والساسة العرب... بالإشارة إلى فشل الزيارة ، وتعليل ذلك بأن الأمريكيين وقعوا ضحية للخديعة الكبرى التي قام بها اليهود بادعائهم أن السلطة الفلسطينية هي المسؤولة عن عمليات التفجير التي وقعت في الأرض المحتلة ، وهذا الكلام يحمل معنى أن العرب ما زالوا يأملون في تغير الموقف الأمريكي ، والأمر في حاجة إلى الانتظار فترة أخرى من الزمن... وهيهات !!!

والحق أنه ليس هناك فرق بين موقف أمريكا والكيان الصهيوني ، فقد جاءت وزيرة الخارجية في زيارتها الأولى للمنطقة ، وقد طلب منها أربعة من أعضاء الكونجرس الأمريكي أن تقصر جدول

أعمال الزيارة على مناقشة الجانب الأمني للكيان الصهيوني ، وأن تلزم عرفات باتخاذ خطوات أحادية الجانب يستجيب فيها لمطالب رئيس وزراء الكيان الصهيوني ، والتي إن نفذت سوف تؤدي إلى قيام حرب أهلية بين الفلسطينيين - كما صرح بذلك وزير العدل الصهيوني علناً - ، وبذلك - كما يقول الأمريكان واليهود - يمكن إيقاف أعمال الإرهاب الفلسطيني وتتاح الفرصة لبدء المفاوضات ، والتي يفضل اليهود والأمريكان أن تنتقل إلى المرحلة النهائية والقفز على اتفاقات أوسلو ، وحقيقة هذا الموقف هي تغييب متعمد لأبعاد القضية الفلسطينية في جوهرها ومضمونها !!!

خلاصة وبيان :

الحالة القائمة الآن والتي لم يعد معها بإمكان العرب القيام بحرب ضد الكيان الصهيوني ، والتي أصبح فيها السلام المزعوم يتباعد يوماً بعد يوم ، قد تولد عنها فقدان الوجود الفعلي للعرب على ساحة القضية أو نتج عنها غياب تاريخي ، يمكن أن يكون لفترة محدودة إذا أدرك العرب ذلك وعملوا على الشهود الحضاري مرة أخرى ، فقد دلت التجارب على أن حالات الغياب التاريخي - عادة - تعقبها عودة بعد فترة زمنية ، وكثيراً ما كانت أفضل... كما أنه يمكن أن تتحول حالة الغياب إلى تشتت وغربة...

وباستقراء الآراء المطروحة على ساحة القضية الفلسطينية على المستوى الرسمي والشعبي ، يمكننا تمييز اتجاهات ثلاث :

١- اتجاه يرى أن الحل هو : الاعتراف بالأمر الواقع ، وحقيقة هذا الأمر الواقع لصالح الكيان الصهيوني ، فلنقبل بما يقدمه المفاوض الصهيوني ، وإلا فنحن غير عمليين وغير واقعيين ، ونتائج السير مع ما ينادي به أصحاب هذا الاتجاه هي الخضوع للهيمنة الصهيونية - الأمريكية ، ولقد عالجت الرائد هذا الاتجاه تحت عنوان فلسفة الانحدار والسقوط والموت البطيء في العدد ١٥٥ ، بالرد عليه وبيان عاقبته...

٢- اتجاه يعتقد أن الوجود في عالمنا وعصرنا يقتضي مسايرة التيار العالمي الغالب ، والتيار الغالب في عالمنا وعصرنا هو النظام العالمي الجديد بزعامة أمريكا ، ولما كان الكيان الصهيوني هو الصديق الموثوق والأهم لتحقيق مصالح أمريكا في منطقة ما أطلق عليه " الشرق الوسط" ، فلا بد من الدخول في تعاون وتنافس داخل إطار "مؤتمر القمة الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا" حتى تشعر أمريكا بصداقتنا وتعاوننا ، فهذا سبيل لتغيير موقفها ، وهؤلاء يطالبون ويتخذون الأسباب لعقد المؤتمر الاقتصادي الرابع للشرق الأوسط وشمال إفريقيا في قطر في المدة من ١٦ إلى

١٩٩٧/١١/١٨م ، بزعمهم أن هذا يخدم مسيرة السلام ويتيح فرصة حوار مع الكيان الصهيوني ، ونسي هؤلاء أن المواقف التي تؤثر في الاقتصاد والسياسة هي مواقف الأقوياء لا الضعفاء وأن التاريخ لا تصنعه القطعان التي تقاد ، فضلاً عن أن هذا الزعم يدل على استيعاب خلفيات وأهداف مثل هذه المؤتمرات [٣]

٣- اتجاه يؤكد على الشهود الحضاري يبدأ بوعي الذات ، وامتلاك مقومات الشخصية الإسلامية القوية ، فالعودة إلى النفس وتحديد الهوية الشخصية ، وامتلاك مقومات وجودها ، هو المقدمة الضرورية للعودة من الغياب التاريخي إلى الشهود الحي الفاعل [٤]

وكل المؤشرات العقلية والتاريخية تؤكد أن الاتجاه الأخير هو الأقرب إلى الحقيقة وإمكان التحقيق في المستقبل ، إذا آمنا بأن الحق هو الذي يوصل إلى الحقيقة والممكن ، حتى وإن ظهر على أرض الواقع بأنه هو الاختيار الصعب والشاق ، قال العليم الخبير بخلقه { **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق** }.

وأصحاب التوجه الأخير يلفتون النظر إلى ما يلي :

أ- الاعتراف بالأمر الواقع يرسخ الغياب التاريخي ، لأنه يُسلم الأمر للمغتصب الذي ينكر الآخر ويعمل على إقصائه.

ب- انتظار الحلول التي تأتي من أمريكا جحد للطاقات والإمكانات الذاتية ، فضلاً عن عدم الإيمان بسنة التداول { **وتلك الأيام نداولها بين الناس** } ، والوقوف بحركة تطور التاريخ ، ثم هو إذا استقرأنا الواقع ، استبدال الغياب التاريخي بالتشتت والاغتراب.

جـ- هذا التوجه يقتضي الإفاقة والإسراع في اتخاذ الأسباب لرسم المخططات التي تجعل العودة من الغياب إلى الشهود ممكنا وواقعاً { **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** }.

الهوامش :

(١) مكان تحت الشمس ، بنيامين نتنياهو ، ترجمة محمد عودة الدويري ، ط٢ دار الخليل للنشر - عمان ، سنة ١٩٩٦م ، ص٣٨.

(٢) المرجع السابق ، ص٥٩

(٣) راجع الرائد ، العدد ١٨٥ ، مؤتمر القاهرة الاقتصادي - خلفيات وأهداف.

(٤) من بقايا الأيام - الجزء الثاني ، الأستاذ عصام العطار ، الدار الإسلامية للإعلام - بون ، ط١ صفر ١٤٠٨ / أكتوبر ١٩٨٧ ، ص ٢٩.